

الإمام حسن البنا يكتب: رمضان.. هل أحسنًا ضيافته؟!



الخميس 21 مايو 2020 12:36 م

هاهو الضيف الكريم الذى أمتع المسلمين أيامًا معدودات بطلعته المشرقة وأوقاته المملوءة بالخير والبر يتأهب للرحيل، ويؤذنه بالتوديع، ولكل أجل كتاب، وأحب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به.

فترى هل أكرم المسلمون وفادته، وأحسنوا قرأه فهو شاكر ممتن؟ أم تتأقلاوا عن واجبه ونسوا حقه فهو مغبون مهزوم؟ والضيف يحمد أو يلوم.

وهاهو ذلك الكتاب الناصع الصفحات من مذكرات الزمن لم يبق فى صحائفه إلا القليل، وقد طوى الكثير منها على ما احتواه من الخير أو الشر؛ فترى هل كتب المسلمون صحائف هذا الكتاب بمداد الصالحات، ووشوه بأوار الطاعات والمبرات، وطرزوه بسنا الخلائق الغر والصور والظهور، وخدموه بمسك الإنابة والاستغفار، أم أهملوها فطويت غفلا، وذهبت هباء، أو لوثوها بسواد العصيان كدروا نصابها بظلمة العدوان.

وهاهو ذلك الشهيد الذى أقام فينا شهرًا يعود ليؤدى مهمته، ويعلن شهادته، وينطق علينا بما رأى منا، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر؛ فهل قدر المسلمون ذلك فجعلوا أعمالهم حجة لهم لا حجة عليهم؟

وهاهى مركبة الزمن التى أرسلها الله لعباده قد قطعت مرحلتها، وسارت إلى غايتها؛ حيث تتوارى بالحجاب بما تحمل من خيرات أو آثام، ثم يحفظ كل ذلك لأهله، ويرى كل إنسان ما قدم من عمله (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) [آل عمران: 30]. فهل رأى المسلمون هذه المركبة وهى تسير؛ فحلوها من الصالحات ما يروونه محضًا يوم القيامة تقر به نفوسهم وتنشرح له صدورهم.

وأخيرًا هاهو شهر رمضان العظيم المبارك ينقضى تبعًا ولم يبق فيه إلا الدماء؛ فكيف كان المسلمون فى هذه الأوقات المباركات؟

أنت يا أذى واحد من رجال؛ إما رجل عرييد مستهتر لا يقدر حرمة الأيام، ولا يعترف بقداسة التكليف؛ فرمضان وغير رمضان عنده سواء؛ فهو فى كلها سادر فى غلوائه، ماض فى خيلائه، غارق فى بلوائه، مطمئن إلى مسلكه، آنس بما يرتكب من بوائق وآثام؛ فهذا الرجل أهان الضيف، ولوَّث صحائف الكتاب وأغضب الشهيد، وحمل المركبة ما تنوع به من الشرور والمفاسد، وهو إن أراد النجاة فالسبيل معبدة، والعودة ممكنة، والتواب كريم، وباب الرجوع لما يقفل وإنه غفور رحيم، وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وما أجمل أن يتوب هذا المسرف من ذنبه، ويرجع إلى ربه؛ فيبدل سيئاته حسنات، ويرفعه إلى أعلى الدرجات، وسبحان من نفع المسلمين بقاتل حمزة.

وإما رجل لاهى غافل، مر به رمضان كما تمر السحابة بالقوم النيام، لم يروها ولم تمطرهم؛ فلا هم شعروا بظلمها، ولا هم استفادوا من خيرها، وهذا الرجل حرم فضل الضيافة، ووثاقة الكتابة، ومعاهدة الشهيد وترك المركبة فارغة، وهو فى مسيس الحاجة إلى ما تحمل من خير وبر، وأولى له أن يبادر فى البقية الباقية من أيام رمضان فيسترضى ضيفه بما يقدم من قرأه، ويستوثق لنفسه بما يدون فى صحف هذا الكتاب، ويكتسب الشهيد بما يعمل بين يديه من خيرات، ويملا المركبة بما استطاع من طاعات، وقد يبارك الله فى هذا القليل فيعود خيرًا كثيرًا، والله ذو الفضل العظيم.

وإما رجل حازم حكيم، علم بمقدم الضيف فأعد له العدة وأكرم الوفاء ولاقاه بالبشر.

وقال له أهلا وسهلا ومرحبًا

فهذا مبيت صالح ومقبل

يبتسم لكل ساعة من ساعات الشهر، ويكرمها بطاعة من طاعات الرب؛ فتمضى لاهجةً بشكر صنيعه رائبة في الثناء عليه، وعلم أن صفحات الكتاب هي تقارير عمله، فدون فيها ما يرفع منزلته ويعلى رتبته؛ فهي وثيقته بين يدي مولاه وحجته عند ربه، ورأى الشهيد ناظرًا إليه وراقيًا عليه فلم يره إلا ما تقر به عينه من صلاة وصيام وتلاوة وقيام وصون وطهر وصدقة وبر ومسارعة إلى الخير؛ فكانت الشهادة برهانا له وسندا يعتد به، ورأى المركبة تمر تباغا وتمشى سراغا، فحمّلها في كل خطوة خيرا كثيرا؛ فهو جدير أن يكون غنيا بما قدم سعيدا بما عمل مطمئنا إلى عاقبة أمره **(مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)** [الزلزلة: 7-8].

وهذا الشخص حقيق أن يضاعف مجهوده، ويزيد في يقظته، وعند الصباح يحمد القوم السرى، ولأمر ما كان صلى الله عليه وسلم إذا أقبل العشر الأواخر من رمضان شمر وأيقظ أهله وشد المؤزر.

فأي الأشخاص كنت أيها الأخ الكريم؟

أيها المسلمون، هاهو رمضان يؤذنكم بالرحيل، وقد كان فيكم أستاذًا يملئ عليكم مبادئ الرجولة الصحيحة، ويربى فيكم الإرادة القوية، ويُعوّدكم الاحتمال والصبر، ويرسم لكم طريق الحرية، ويكشف عن بصائركم حجب المادة؛ حيث تسمو إلى أفق الملائكة، ويعلمكم الفقه عن الله -تبارك وتعالى- والفهم لكتابه ودينه وآياته، ولكل أستاذ أثره؛ فكيف كان شهر رمضان في نفوسكم؟

زنوا أنفسكم وتعزّفوا أثر رمضان في أرواحكم، وانظروا: هل قويت إرادتكم فأصبحتم قادرين على الاستغناء عن التواضع من المتع في سبيل العظام من المكرمات؟

وهل تعودتم الصبر على الشدائد فأصبحتم قادرين على التضحية في سبيل الوصول إلى أنبل الغايات؟ وهل كُشف عن بصائركم الحجاب فأدرتكم حقارة أعراض هذه الحياة الدنيا إلى جانب عزة النفس ووفرة الكرامة وحرية الضمير وسعادة الروح؟

وهل تفقهتم في دين الله وتفهم آياته فأصبحتم تتجاوزون الألفاظ الجامدة إلى المعاني السامية، والتقاليد الفاسدة إلى لب التشريع وأسرار التنزيل؟ إن كان ذلك كذلك فاحمدوا الله على ما هداكم، وإن لم يكن ذلك كذلك فاجتهدوا في هذه اللحظات الباقية أن تصقلوا مرآة أرواحكم، وتطهروا أدران نفوسكم وتنتفعوا بفيض الله -تبارك وتعالى- في شهركم؛ فإن فعلتم فسوف تدركون -إن شاء الله- وإن أعرضتم فقد بلغت.. اللهم اشهد.

المصدر : مجلة الإخوان المسلمون - السنة الأولى - العدد 26 - ص 1 : 3 - 25 رمضان 1352 هـ / 11 يناير 1934 م.

